

## البرتغال الإسلامية

محمد القاضي \*

## البرتغال قبل الفتح الإسلامي

كانت البرتغال قبل الفتح الإسلامي تعرف ببلاد (لوزيتانيا) ، وقد خضعت للحكم الروماني منذ سنة (137 ق.م)، وطبعت بطابعهم الحضاري والديني واللغوي والمعماري، ووفرت القلاع الرومانية الأمن والنظام لجميع أنحاء البلاد، وأجبروا سكان المرتفعات على أن يستقروا في المناطق المنخفضة، وتجمع السكان خلال تلك الفترة في الولايات البرتغالية اليوم:

## EMERITENSIS-BARACARENSIS- LUCENSIS.

وفي بداية القرن الخامس الميلادي، وقعت في قبضة إحدى القبائل الجرمانية (السويف) الذين صادروا بيوتات وثروات اللوزيتانيين - الرومان (LUSIO-ROMAN)، وسيطروا على الكثير من الحقول الغنية والمزارع في المنطقة (ويخبرنا المؤرخ " OROSIUS " أن السويف قد حولوا سيوفهم إلى محاربي، فزرعوا الأرض حسب شروط واتفاقات جيدة مع الفلاحين اللوزيتانيين - الرومان)(1).

لقد أنشأ السويف دولة قائمة على أسس قومية مستقلة ذات نظام ملكي وراثي، وأثروا تأثيرا حضاريا كبيرا في الشعب اللوزيتاني القديم. وهكذا تأثرت كل من الزراعة والصيد والبحرية والبناء والأسلحة والحرب والسياسة والموسيقى والفولكلور والعادات، وبقية مظاهر الحياة الأخرى بالسويف الذين امتزجوا كليا بسكان البلاد الأصليين. وفي سنة (576 م) احتل البيزنطيون جنوبي البرتغال الحالية، وبعض المناطق الأخرى مثل: (ALENTEJO) ومدينة (MYRTILIS) التي كانت أحد المواقع العسكرية المهمة للسويف، وفي سنة (585م) توحدت مملكة السويف مع مملكة القوط الغربيين بعد إجراء عسكري من قبل الملك القوطي (LEOVIGILD) الذي استدعي من طرف إحدى جماعات السويف لغرض تثبيت سيطرتها على بقية الفئات. ومع هذا فقد احتفظت مملكة السويف بسلطاتها ومنظماتها القومية والدينية على الرغم من القوة المركزية لمجالس طليطلة عاصمة القوط الغربيين. وفي سنة (621م) سيطر القوط الغربيون على جنوبي البرتغال الذي كان تحت النفوذ البيزنطي)(2).

## البرتغال بعد الفتح الإسلامي

شكلت البرتغال جزءا من تاريخ إسبانيا الإسلامية أو الأندلس الكبرى، فقد كانت ضمن المناطق التي شملها الفتح العربي لشبه الجزيرة الإيبيرية، وذلك بعد حرب عنيفة وجهد

متصل (دام أربع سنوات إلا أشهراً) بدأ الفتح في رجب 92هـ وانتهى في أوائل 96هـ) وقد فتح المسلمون خلال تلك السنوات القلائل هذه الجزيرة الضخمة من أقصى الجنوب إلى جبال البرت وشاطئ البحر في الشمال ومن مالقة وطركونة في الشرق إلى قلمرية واشبونة في الغرب، واستولوا فيها على سهول الجنوب وعلى مرتفعات قشتالة ونواحي الجوف (اكستريمادورا) القاحلة، ولم يغادروا بلداً عظيماً أو حصناً مهماً إلا رفعوا عليه راية الإسلام، وأدخلوه في حوزة الدولة الإسلامية الكبرى(3).

وكان المسلمون حينما فتحوا (نواحي الغرب) سنة (716م) قد قبلوا من أهل قلمرية (صلحهم وأقروا البلد على حاله، وأقام عبد العزيز بن موسى عليه حاكماً عربياً تسميه وثيقة لاتينية:

### ALBOACEM IBN MAHAMAT ALHAMAR IBN TARIF""

وربما كانت صحة الاسم العربي أبا عاصم بن محمد الأحمر بن طريف في سنة (716م). وكانت المدينة إذ ذاك عامرة وبها كنيسة كبيرة فأقام خلفه ابنه (أتانا جيلدو) (ATANAGILDO) وأعقبه ابنه (قيودوس) (THEODUS)، وأقام على الأسقفية قساً يسمى (لوربان) (LORBAN). واستمر أمر البلد على هذا الحال من الاستقلال تحت السيادة الإسلامية العليا حتى سقطت في يد النصارى سنة (1058م)، وحول هذا البلد تكونت فيما بعد إمارة البرتغال وحلت محل ولاية لشدانية (لوزيتانيا) الرومانية، وإنما أشرنا إلى ذلك لنضع أيدينا على أوائل احتلال المسلمين للبرتغال وحكمهم إياها(4).

وقد عرفت البرتغال في العهد الإسلامي باسم الغرب أو باسم (كور) أو مدن واقعة فيه كأشبونة (لشبونة اليوم) التي كانت جزءاً من كورة (باجة) ثم أصبحت كورة مستقلة تتبعها: شنترين، وشنتره، والمعدن(5) وبلمانة، وقصر أبي دانس، وإلى الشمال منها كانت كورة قلمرية (COIMBRA اليوم) حتى نهر دوير أي أن كل أراضي البرتغال الحالية. (وكان العرب هم الذين أطلقوا اسم (برتغال) على شمال هذه المنطقة، سموها باسم المدينة الواقعة على مصب نهر دويرو في المحيط الأطلسي، وهو تعريب لاسمها اللاتيني القديم (PORTOCAL)، وقد اختصر الاسم فأصبح (PORTO) (الميناء)، بينما اصطنع البرتغاليون الاسم الذي أطلقه العرب على المنطقة الشمالية فوسعوا دلالاته إلى بلادهم كلها بدلاً من الاسم القديم (لوزيتانيا))(6).

ولأبي عبيد البكري نص تفصيلي ومهم للتقسيم الإداري لإسبانيا، وجعلها ستة أجزاء وخص أراضي البرتغال (اليوم) القسم الخامس (قاعدة مدينة ماردة)، وأضاف إليها اثنتي عشرة مدينة ذكر منها عشرًا وهي: باجة - أكشونية - يابرة - شنتره - شنترين - الأشبونة - قلمرية - قورية - شلمنتقة = سلامنكا - صمورة(7).

ويذكر محمود علي مكي أن معظم العرب الذين نزلوا بتلك الكور الغربية ينتمون إلى قبائل زهرة وثقيف من العرب العدنانية، وإلى أوس والقبائل الحضرمية من عرب اليمن.

كما ساكن هؤلاء عدد من القبائل البربرية من صنهاجة وكتامة ونفزة ومصمودة وهوارة، وقد بقي الكثير من أسماء هؤلاء ماثلا حتى اليوم في أسماء مدن البرتغال وقراها(8).

وقد ذهب (سيزار دوبلر) في بحث قيم عن (منازل البربر في الأندلس) يبحث عن أسماء المواضيع الإسبانية التي يمكن ردها إلى أصل بربري واستنتج من هذه الأسماء أن البربر لا بد أن يكونوا قد سكنوها وأعطوها أسماءهم. واستطاع بذلك اكتشاف الكثير من منازل البربر مما لم يسجله المؤرخون، ونذكر منها ما يتعلق بالبرتغال الحالية وهي(9):

- نسبة إلى بربر وهران VILLA NOVA DEOUREM -

- نسبة إلى بربر تونس TUNIS -

- نسبة إلى بربر القيروان ALQUERUBIN -

- نسبة إلى بربر أرزيلا وهي أصيلا (المغرب) ARZILA -

- قرب جواردا/ نسبة إلى بني برزال (زناتة) BARASAL -

- AZINHAGA نسبة إلى صنهاجة -

- COTIMOS AL COUTIM- و نسبة إلى كتامة -

إضافة إلى قصر أبي دانس الذي ينسب لبني دانس بن عوسجة (وهم بطن من قبيلة مصمودة)، وقد سميت المدينة بعد ذلك (قصر الملح)، واسمها البرتغالي الحالي هو (على مقربة من قلمرية) (ALCACERDOSAL) 10).

وقد أشار ليفي بروفنسال إلى أنه ربما كان الطابع البربري أظهر وأوضح اليوم في إسبانيا وجنوبي البرتغال من الطابع العربي بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ، وذلك في كثير من (ظواهر الحياة الريفية والنشاط الزراعي) 11).

وعلى العموم فقد انتشر العرب والبربر في نواحي قلمرية وشنترين وإشبونة وباجة ويابرة وشلب ومرتلة وقصر ابن دانس وشنترية التي شكلت البرتغال الحالية وانصهروا مع أهلها الذين تبنا عادات وتقاليدهم الفاتحين إلى حد كبير، وتكاثر عددهم، وشكلوا قوة فاعلة في المجالين السياسي والاقتصادي. على أن امتزاج هذه العناصر لم يتم دائما في سهولة ويسر، ولهذا لم تخل حياة البرتغال الإسلامية خلال القرنين الأولين من ثورات عنيفة مما فقام، (RECONQUISTA) أتاح الفرصة لبدء ما يسميه النصارى بحرب الاسترداد صاحب أشطوريش الفونسو الأول بالسيطرة على شمالي البرتغال الحالية، كما انتهز الفونسو الثاني فرصة انشغال الأمير الحكم بن هشام بقمع الثورات الداخلية، فاستولى على (798م)، وأرسل كتابا بذلك إلى شارلمان في عاصمته (إكس/182هـ) الأشبونة عام (لاشابل) إلا- أن هذا الاستيلاء كان مؤقتا إذ لم يلبث المسلمون أن استردوها عام 193هـ/808-908م) وانتزى في الأشبونة في العام نفسه مغامر اسمه طومولوس)

ولكنه هزم في العام نفسه على يد هشام أحد أبناء الأمير الحكم وأعدم (TUMULUS) في قرطبة، وتمت تهدئة المنطقة كلها ما بين الأشبونة وقلمرية، على أن نهر دويرو لم يصبح حداً فعلياً للنصارى قبل عهد الفونسو الثالث الذي استولى على مدينة برتقال (868م) (12/254هـ) (بورتو) عند مصب النهر عام

### إمارة المروانيين بالبرتغال

تولى الخلافة عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) والأندلس تعيش فترة مضطربة بسبب الخلافات السياسية والصراعات الطائفية التي كانت قائمة بين السلطة المركزية والعناصر المكونة للمجتمع الأندلسي (العرب، البربر، المولدون) التي استغلت ضعف حكومة قرطبة، فقامت بثورات عنيفة في جهات مختلفة قادها في البداية المولدون فالبربر ثم العرب، أدت إلى ظهور دويلات مستقلة أطلق عليها: (دويلات الطوائف الأولى) نذكر منها -بالنسبة للمولدين- بني قسي أو بني موسى الذين استقلوا بمنطقة سرقسطة أو الثغر الأعلى. ثم بنو مروان الجليقي، وقد استقلوا بولاية بطليوس في غرب إسبانيا (حالياً على الحدود البرتغالية). وبني حفصون الذين استقلوا بالمرتفعات الجنوبية الإسبانية الممتدة بين (مدينتي رندة غرباً ومالقة شرقاً، وكانت قاعدتهم قلعة ببشتر 13)

### ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي

ثار من المولدين عبد الرحمن بن مروان الجليقي (توفي سنة 276هـ) الذي كان يدعو لعصية المولدين على العرب بناحية ماردة من الثغر الأدنى بعد هروبه من قرطبة سنة (261هـ / 875م) على إثر إهانة أنزلها به الوزير هاشم بن عبد العزيز، واعتصم بحصن (الحنش) قرب ماردة، ومن هناك بدأ حركة عصيان واسعة المدى عجزت الدولة القضاء عليها في حينها. يقول صاحب المقتبس: (فخرج إلى ما خرج إليه من الفساد في الأرض، والسعي للإمارة، فأدرك من ذلك حظاً عظيماً جسم له مكاره شديدة، وتجرثم جرائم من جهة ظاهره على أمره لما ظهر رجل من أصحابه من مولدي الغرب الدائبين في المعصية يعرف بسعدون السرنباقي، كان شبهه في الشجاعة والشر

وكان المولدون يغلون فيه ويقولون: إنما هو السرور الباقي، فاجتمعوا، وضاغوا الشريك، وأحدثوا في الإسلام أحداثاً عظيمة، وبثوا الغارات على المسلمين وصاروا في القفر بين الإسلام والشريك... فعظم مقدار الخبيث يَن ابن مروان وسعدون في السر. وبسطا على الرعية، وقطعا السبل، وأفسدا في الأرض، وعلا علواً كبيراً، ووطئاً بغاراتهما كورة إشبيلية ولبلة وباجة وأكشونبة وما يليها، فتوسطا أعمالهما، وملكا بأكشونبة جبلاً منيعاً يقال وجرت منهما أمور يطول (14) (SERRA DE MONCHIQUE) -له: (منت شافر 15) (اقتصاصها).

حقاً فقد خاض عبد الرحمن الجليقي ومن معه حروباً كثيرة مع جيوش الإمارة الأندلسية، واتخذوا من بطليوس عاصمة لإمارتهم فحصنوها وأعدوها للدفاع والمقاومة،

وعقدوا حلفاً مع الفونسو الثالث ملك ليون، وقام عبد الرحمن بدعوة أنصاره إلى مذهب ديني جديد هو خليط من تعاليم الإسلام والنصرانية واستمر على ذلك أعواماً (وهو يسيطر على منطقة بطليوس، ويعيث في أنحاءها فساداً، ويخرج منها للإغارة على ناحية الغرب حتى أشبونة، وجنوبا حتى باجة وأطراف أكشونبة (البرتغال)... ولما أعيى الأمير أمره، انتهى أخيراً إلى قبول شروطه في الاستقلال بحكم بطليوس وما جاورها، والإعفاء من (المغارم والفروض) (16).

واستمر عبد الرحمن بن مروان الجليقي في إمارة بطليوس التي أورها من بعده لأبنائه إلى أن أعادها الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي توجه بنفسه لإخماد ثورة أعلنها أحد أبناء الجليقي سنة (317هـ/929م) يقول صاحب البيان المغرب: وفي سنة (317هـ) كانت غزاة الناصر إلى مدينة بطليوس لمحاربة أهلها وابن مروان المنتزي عليه فيها، فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لعشر خلون من ربيع الأول (23 أبريل 929م)، ومعه ولي عهده الحكم المستنصر بالله وابنه منذراً.

وكان احتلاله بالجيش على مدينة بطليوس يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر، وواضعهم الحشم القتال في أفنيتهم وعلى أبواب دورهم، وتقحموا عليهم داخل أرباضهم، وقتلوا منهم في ثاني احتلالهم عليهم جملة بعت رؤوسهم إلى قرطبة، وقطعت ثمارهم، وأحرق ما أخلوه من ديارهم خارج سورهم، وبقوا محصورين في المدينة. وأقام (عليهم الناصر عشرين يوماً، ثم أبقى عليهم أحمد بن إسحاق في قطيع من الجند) (17).

بالبرتغالية) وتقع MARVAO = وتوجد بالبرتغال اليوم بلدة يطلق عليها اسم (مروان = في شرق البرتغال مقابلة لمدينة شنترين، وهي الآن من أعمال مدينة بورتاليجري PORTALEGRE (18).

### ثورات أخرى للمولدين

كما عرفت مناطق البرتغال ثورات أخرى قادها زعماء المولدين أيضاً. وكان أخطرها ما قام به بكر بن يحيى بن بكر وعبد الملك بن أبي الجواد، وكانا من أتباع عبد الرحمن بن مروان الجليقي وأنصاره. فقد ثار الأول بشنتمرية الغرب من كورة أكشونبة وحصنها واستقل بها، وبسط سلطانه على ما حولها وتشبه بالأمرء فأنشأ له بلاطاً وحكومة، وكان جواداً يأوي أبناء السبيل ويحفظ الطرق، وفي أواخر عهد الأمير عبد الله عاد إلى (الطاعة) (19).

كما قامت ثورات محلية أخرى في بعض القواعد والحصون ضد حكومة قرطبة قادها زعماء من البربر والعرب، ولكنها كانت قليلة في كتابة المقتبس وابن عذارى المراكشي (في البيان المغرب) (20).

في سنة (422هـ/1031م) سقطت الدولة الأموية، وأعلن الوزير أبو الحزم بن جهور انتهاء رسم الخلافة جملة لعدم وجود من يستحقها، وأصبح الأمر شورى بأيدي الوزراء

وكبار العلماء وصفوة الزعماء. وأعقب ذلك فترة من الاضطرابات والتناحر بين أهل الأندلس أدت إلى ظهور دويلات صغيرة متنازعة، فقد استقل كل أمير بناحيته وأعلن نفسه ملكا عليها، فدخلت البلاد بذلك في عصر جديد هو عصر ملوك الطوائف أو عصر الفرق كما يسميه ابن الكردبوس (21)، ومن أهمها: إمارة بني جهور في قرطبة، وبني عباد في إشبيلية، وبني الأفضس في بطليوس، وبني هود في سرقسطة، وبني صمادح في المرية، وبني برزال في قرمونة وغيرها.

## المرابطون ونهاية ملوك الطوائف

وبعد مرور أربعة قرون على الفتح الإسلامي، ظهر المرابطون على أرض المغرب (448هـ / 541هـ / 1056 - 1147م) الذين عملوا على تركيز الإسلام ونشره بين القبائل البربرية، والقيام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية. ويعتبر يوسف بن تاشفين مفخرة هذه الدولة، فقد قام بتنظيم الجيش تنظيمًا محكمًا، واستكثر من القواد الأكفاء، وقضى على الفتن الداخلية، واستطاع مواجهة جميع الصعاب التي واجهته في أثناء حرب الوحدة والتحرير، كما هب لإنقاذ الإسلام من الخطر الداهم الذي أصاب بلاد الأندلس حيث تمكن ملك قشتالة الفونسو السادس من الاستيلاء على طليطلة سنة (478هـ / 1085م) وفرض الجزية على كبار ملوك الطوائف أمثال المعتمد بن عباد في إشبيلية والمتوكل بن الأفضس في بطليوس وغيرهما، وحينئذ لم ير هؤلاء بدا من الاستتجاد بيوسف بن تاشفين الذي لبي النداء، فعبر البحر بجيوشه إلى الأندلس فنزل في الجزيرة الخضراء وقام بتحصينها وما يتبعها من قواعد عسكرية أخرى على المضيق مثل جبل طارق وطريفة، ثم زحفت الجيوش نحو إشبيلية ثم بطليوس بغية لقاء العدو الذي أسرع هو الآخر بجيوشه نحو تجمعات المسلمين من المغاربة والأندلسيين، فالتقى بهم في الشمال من بطليوس عند وهناك دارت المعركة الفاصلة، (SAGRAJAS) فحس الزلافة الذي يعرف اليوم باسم بين الفريقين في منتصف رجب سنة (479هـ / 23/10/1086م) حيث انتصر المسلمون انتصارًا باهرًا. وتعتبر هذه المعركة من المعارك الحاسمة التي جرت بين المسلمين والأسبان في بلاد الأندلس، ومهدت السبيل لسيطرة المرابطين عليها فأصبحت تابعة لهم بعد القضاء على ملوك الطوائف. وكان يوسف بن تاشفين يقول في كل مجلس من مجالسه: (إنما كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة أن نستتقذها من أيدي الروم، لما رأينا استيلاءهم على أكثرها، وغفلة ملوكهم وإعمالهم للغزو وتواكلهم وتخاذلهم وإيثارهم الراحة، وإنما همّة أحدهم كأسٌ يشربها، وقنيةٌ تُسْمَعُ، ولَهْوٌ يقطع به أيامه، ولئن عشت لأعيدين جميع البلاد التي ملكها الروم في طول هذه الفتنة إلى المسلمين، ولأملأنها عليهم يعني الروم- خيلا ورجالا لا عهد لهم بالدعة، ولا علم عندهم برخاء العيش، وإنما همّ أحدهم (فرس يروضه ويسترفهه، أو سلاح يستجيده، أو صريخ يلبي دعوته...)) (22).

فعلا، فقد بذل يوسف بن تاشفين مجهودا عظيما في استصلاح أحوال الأندلس، وذلك انطلاقا لما كان يمليه الموقف لاستمرار السيادة الإسلامية على هذه البلاد وتفادي وقوعها العاجل في يد العدو. ويذكر صاحب الحل الموشية: (أقامت بلاد الأندلس في مدته سعيدة

حميدة في رفاهية عيش وعلى أحسن حال، لم تنزل موفورة محفوظة إلى حين وفاته -رحمه الله-... وترك الثغور المواجهة لبلاد العدو في حكم الأندلسيين لكونهم أخبر بأحوالها، وأدرى بقاء العدو وشن الغارات مع الإحسان إليهم، فلما قربت وفاته أوصى ابنه ولي العهد بعده أبا الحسن على ثلاث وصايا أحدها: (أن يقبل من محسن أهل الأندلس (ويتجاوز عن مسيئهم)(23).

واصل المرابطون الجهاد ضد النصارى في غرب الأندلس بعدما سيطروا على مملكة بطليوس التي كانت تضم مساحة شاسعة في البرتغال الحالية. فسيطروا على شلب ويابرة ولشبونة وشنترية وشنترين وتعتبر هذه الأخيرة (من أحسن المعاقل للمشركين، وأثبت المعاقل على المسلمين... أرحب المدن أمدا للعيون، وأخصبها بلدا في السنين، ولا يريمها الخصب ولا- يتخطاها، ولا- يرومها الجذب ولا يتعاطاها، فروعها فوق الثريا شامخة وعروقها تحت الثرى راسخة، تباهي بأزهارها نجوم السماء، وتتاجي بأسرارها أذن الجوزاء، مواقع القطار في سواها مغبرة مربدة، وهي زهرة ترف أنداؤها، ومطالع الأنوار في حشاها مقشعة مسودة، وهي ناضرة تشف أضواؤها، وكانت في الزمن الغابر أعيت على عظيم القياصر فنانزلها بأكثر من القطر عددا، وحاولها بأوفر من البحر مددا، فأبت على طاعته كل الإباء، واستعصت على استطاعته أشد الاستعصاء... فأمكننا الله (تعالى- من ذروتها، وأنزل ركابها لنا عن صهوتها)(24).

أما قلمرية فقد حاصرها الأمير علي بن يوسف سنة (511هـ/1117م) حسب صاحب البيان المغرب عشرين يوما وضيق بها ثم انصرف عنها إلى إشبيلية، ومشى عبد الله بن فاطمة والمنصور بن الألفطس فقابلا- أرواما في بلاد الروم ثم وردا إلى إشبيلية واستاقا (غنيمة عظيمة وأسرى كثيرة وانصرف الناس إلى بلادهم)(25).

ولكن صاحب الحل الموشية يذكر أن علي بن يوسف افتتح هذه المدينة ودوخ بلاد (الشرك بجيوش لا تحصى، وكان أثره بها عظيما)(26).

استمر جهاد المرابطين في الأندلس رغم مواجهتهم لخطر الموحدنين بالمغرب، فما أكثر ما دارت المعارك والحروب بينهم وبين العدو الذي اشتد بأسه، ولا سيما في غرب الأندلس الذي تكاثرت عليه ضربات القشتاليين، ولكن انشغالهم في حروب مستمرة مع الموحدنين على أرض المغرب، أدى إلى ضعف قوتهم، إضافة إلى قيام ثورات وفتن (MERTOLA) عديدة، لعل أخطرها ثورة المريدين التي قادها ابن قسي في ميرتلة بالبرتغال وثورات أخرى في يابرة وشلب وباجة وغيرها من مدن الأندلس، فانهارت دولة المرابطين، وأفل نجمها، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ المغرب والأندلس مع قيام دولة الموحدنين.

## البرتغال في ظل الموحدنين

ظهر الموحدون في المغرب كقوة سياسية منظمة بمختلف الوسائل على قلب الحكم

المرابطي، فأقاموا دولة قوية مترامية الأطراف تمتد (من طرابلس الغرب إلى سوس الأقصى من بلاد المصامدة وأكثر جزيرة الأندلس)(27). وبلغت ذروة مجدها على عهد عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف وحفيده يعقوب المنصور. وكانت الأندلس أيامهم تعيش حالة تمزق بين ثلاثة اتجاهات: (اتجاه يتمسك بالمرابطين ويمثله يحيى بن غانية القائد العام لقوات المرابطين بالأندلس وأخوه محمد... واتجاه ثان يدعو إلى تحرير الأندلس كلها من حكم البرابرة، ويسعى إلى إعادة وحدتها الوطنية التي كانت عليها أيام الخلافة الأموية، وندلمس ذلك الاتجاه في تلك الثورات والانتفاضات التي انبثقت هنا وهناك في أرجاء البلاد، وقد تزعم هذا التيار أخيراً سعد بن مردنيش في شرقي الأندلس. أما الاتجاه الثالث، فهو الذي دعا إلى الاستعانة بالموحدين لتخليص البلاد من المرابطين من جهة ومن خطر (النصارى من جهة ثانية)(28).

هكذا ورث الموحدون ما بقي للإسلام في الأندلس، وعليهم أن يجتهدوا كأسلافهم في الدفاع عن هذه البلاد.

كانت أول خطوة سلكها الخليفة عبد المؤمن اتجاه الأندلس هي الإسراع بإرسال الجيوش إليها والقضاء على الثوار الذين أرادوا بالأندلس الرجوع إلى عهد ملوك الطوائف، ثم قمع الأطماع النصرانية في الاستيلاء على المناطق الإسلامية.

### ثورة ابن قسي / ثورة المريدين بالبرتغال

كان أول الثائرين بالجنوب الغربي للأندلس (البرتغال الحالية) هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي (وهو رومي الأصل من بادية شلب، نشأ مشغلاً بالأعمال المخزنية، ثم تزهد بزعمه- وباع ماله وتصدق بثمنه، وساح في البلاد، ولقي أبا العباس بن العريف في المرية قبل إسخاصه إلى مراكش، ثم انصرف إلى قريته. وأقبل على قراءة كتب أبي حامد الغزالي في الظاهر، وهو يستجلب أهل هذا الشأن محرصاً على الفتنة وداعياً إلى الثورة في الباطن. ثم ادعى المهدوية منحرفة وتمويها على العامة وتسمى بالإمام)(29). وسمى أتباعه (المريدين) اتخذ شعار (التصوف) ستاراً أخفى من ورائه طموحه السياسي، فتبعه كثير من زعماء غربي الأندلس مثل ابن القابلة الذي كان أوفرهم ذكاء وأعظمهم حيلة فأثره ابن قسي وألقى إليه بأسراره وآماله وأطلعه على خطئه. ثم الفقيه محمد بن عمر بن المنذر زعيم شلب، وسيد راي بن وزير رائد المريدين بمدينة يابرة وزعيم ثورتها ضد المرابطين. وفي سنة (539هـ / 1144م) سيطر كما يذكر صاحب البيان المغرب (فأول (من قام بدعوتهم فيها - الأندلس - أهل ميرتلة)(30).

وإن كان الخليفة عبد المؤمن قد أنكر على ابن قسي إداؤه الإمامة والمهدوية التي من شأنها معارضة مهدوية ابن تومرت. ويأبى هذا الأخير إلا- أن يعبر البحر إلى المغرب ليتصل بالخليفة الموحد في مدينة (سلا متبرئاً من دعاويه وتائباً من مساويه في ربيع الآخر سنة 540هـ. ثم انصرف في المحرم سنة 541هـ صحبة الجيش الذي افتتح جزيرة طريف والجزيرة الخضراء، ولما فتحت شلب ترك ابن قسي عليها والياً)(31). ولكن روح



التوثب والانتهازية لم تكن لتفارقه. فما كاد يسمع بثورة ابن هود الماسي في المغرب حتى خلع طاعة الموحدين وأصبح مستظهما بأمر مرابطي، فوجد نفسه في عزلة ويأس وافتضح أمره، فارتمى في أحضان النصارى مستجدا مستغيثا. (وداخل الطاغية ابن الريق صاحب قلمرية في إعانته وإمداده، فأظهر إجابته إلى مراده، وبعث إليه بفرس وسلاح، فأنكر ذلك أهل شلب، وفتكوا به، ونصبوا مكانه ابن المنذر الأعمى، معلنين بدعوة الموحدين، وذلك في جمادى الأولى من سنة 546هـ) (32). وبذلك طويت صفحة من أخطر الصفحات في تاريخ البرتغال الإسلامية.

### قيام إمارة البرتغال بقيادة ابن الريق

تمكن الموحدون من السيطرة على جزء من أراضي البرتغال، بينما كانت المنطقة الواقعة حول حوض نهر الدويره إلى حدود جليقية والتي تضم مدن قلمرية وبازو وبراعة تؤلف ولاية صغيرة تابعة لمملكة قشتالة. وكان الفونسو السادس قد زوج ابنته غير من أحد نبلاء مقاطعة برجنديّة الفرنسية واسمه هنري (TERESA) الشرعية تيريسا وقدم لهما مهرا هذه المقاطعة، ولكن على شرط تبعيتها هي وزوجها (HENRIQUES) لعرش قشتالة. إلا أن تيريسا وزوجها استغلا اضطراب الأحوال بعد وفاة الفونسو بغير وريث ذكر، فعملا على الاستقلال بالإمارة الجديدة التي أطلق عليها اسم عاصمتها القديمة (ALFONSO) ثم قام ابنهما الفونسو إنريكي، (PORTUGAL) برتقال ابن الريق / الريك في المصادر الأندلسية/ 532هـ - 581/1138م) (HENRIQUES) ثم لم، (COIMBRA) 1185م) بإعلان الاستقلال الذاتي أولا حاملا لقب صاحب قلمرية يلبث أن استقل تماما بعد انتصاراته على المسلمين واستيلائه على شنترين ثم على لشبونة في سنة 542هـ/ 1147م وتزايد طموحه بعد ذلك فواصل حملاته على مدن المسلمين (EVORA) كما انتزع منهم قلعة يابرة، (GUADIANA) الواقعة في حوض وادي أنه سنة (561هـ/ 1166م). وأعلن نفسه ملكا على البرتغال. (وحكم مملكته من ذلك الحين) أما لا يزعجه أحد من جيرانه النصارى، منتصرا في محاربة المسلمين... وأخيرا صدر القرار البابوي المتعلق باستقلال مملكة البرتغال عن قشتالة وليون، بعد أن طال عليه الأمد، وأصدر البابا إسكندر الثالث بمقتضى مرسوم بابوي في سنة (1179م)، وفيه يمنح الفونسو أنريكي لقب الملك، وتوضع مملكة البرتغال الحرة من كل عهد الجزية تحت حماية الكرسي الرسولي... إن الفونسو إنريكي ليستحق من جميع الوجوه أن يلقب بمؤسس المملكة البرتغالية... عرف كيف يذكي الحماسة الدينية في نفوس الشعب البرتغالي وأن يغنم تأييده بإصدار دستور يحقق الحرية والعدالة لكل الطبقات، ويحيط وراثته العرش (بضمانات تحول دون نشوب الحرب الأهلية، ويوطد دعائم القومية البرتغالية) (33).

إذا كانت السنوات الأخيرة من حكم الخليفة عبد المؤمن (توفي 558هـ/ 1163م) قد شهدت ولادة الدولة البرتغالية وظهورها على مسرح التاريخ، فإن ابن يوسف الخليفة الثاني لم يقف مكتوف اليدين أمام هذا الاستفزاز الذي أبداه الملك البرتغالي ابن الريق. فجهز حملة عسكرية بقيادة أخيه أبي حفص عمر وذلك سنة: (565هـ/ 1170م) نحو

أراضي البرتغال وليون واستعاد كل ما خسره المسلمون جنوبي وادي التاجة (RIOTAJO).

وفي سنة (567هـ/1171م) حاصر الموحدون مدينة شنترين ( وهي من أمنع المدائن) (34) بجيش ضخم ولكن دون جدوى فقد أرغموا على رفع الحصار بعد هزيمة فادحة، وكانت (البرتغال من بين الممالك النصرانية أشدها وطأة في غزو أراضي الموحدين، ولذا اعتزم أبو يعقوب يوسف، أن يسحق أخطر أعدائه بتفوق قواته بادئ ذي بدء، حتى إذا عم الرعب من جراء انتصاره استطاع أن يخضع الممالك الأخرى بسهولة. وكانت خطته تقضي أولاً بمهاجمة مملكة البرتغال من البر والبحر، حتى ضفاف نهر دويرة، ثم الزحف من على ضفاف التاجة ودويرة إلى قلب مملكتي قشتالة وليون... وحشد لهذه الغاية قوات عظيمة، واجتمعت إليه فضلاً عن الجيوش المغربية الجرارة، قوى مسلمي الأندلس. إذ بلغ عدد جنوده أكثر من ثمانية وسبعين ألف مقاتل، وكذلك اجتمع للمسلمين أسطول عظيم من سفن القتال وسفن النقل، مشحونة بالسلاح وآلات الحصار والمؤن، عند مصبي نهري الوادي الكبير ووادي آنة على أهبة لأن يؤيد البحر جهود (الجيش البري ضد البرتغال) (35).

لقد توجه يوسف بن عبد المؤمن على رأس هذه الحملة إلى مدينة شنترين، فحارب الحصار عليها، وكانت خطته أن يسترجعها ثم يسترد لشبونة، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد فشلت خطته بارتباك الجيش وسوء فهم خطته، ولازم سوء الحظ المسلمين، وأصيب الخليفة بطعنة توفي بعدها كما جاء في بعض المصادر. ويذكر صاحب المعجب أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قد خرج في جيش وضائق المدينة -شنترين- وأخذ في قطع ثمارها وإفساد زروعها وشن الغارات على نواحيها. إلا أن العدو كان واثقاً من حصانتها وشدة منعتها، فلأها أقواتاً وسلاحاً، وجلل أسوارها مقاتلة معهم الدرق والقسي والحرب. فخاف المسلمون هجوم البرد وفيضان النهر فيصعب عليهم عبوره وينقطع عنهم المدد. فأشاروا على الخليفة بالرجوع إلى إشبيلية، على أن يعودوا إليها مرة أخرى. ووافقهم على ذلك. ولم ينتشر هذا القول كل الانتشار. فكان أول من قوض خبائه وأظهر الأخذ في أهبة الرحيل أبو الحسن المالقي ويدعى -خطيب الخلافة- فعبر في تلك العشية أكثر العسكر النهر، ولم يبق إلا- من كان بقرب خباء أمير المؤمنين. وبات الناس يعبرون الليل كله وأمير المؤمنين لا- علم له بذلك، فلما رأى الروم عبور العساكر، خرجوا منتهزين الفرصة إلى أمكنتهم في خيل كثيفة فحملوا على من يليهم من الناس، فانهزموا أمامهم، حتى بلغوا خباء الخليفة، فقتل على بابه من عيان الجند خلق كثير، أكثرهم من أعيان الأندلس، وخلص إلى أبي يعقوب فطعن تحت سرتة طعنة مات (منها بعد أيام يسيرة) (36).

وخلّفه ابنه يعقوب المنصور (580 - 595هـ / 1184 - 1199م) الذي جمع إلى عظمة السلطان السياسي، رسوخ العقيدة، وشدة الحرص على أحكام الشريعة وسنتها.

(-1-SANCHO) أما في البرتغال فقد توفي الملك ابن الريق وخلفه ابنه (سانجو الأول الذي حكم بين (581-607هـ/1185-1211م) فرأى أن يبادر المسلمين بالهجوم، واتفق أن عددا كبيرا من المحاربين الصليبيين الإنجليز والألمان كانوا قادمين من فلسطين، فَرَسَ أسطولهم قبالة لشبونة (ولما كان الوقت متأخرا وقد دنا الشتاء، فقد استطاع سانجو ملك البرتغال أن يحملهم على الاشتراك معه في القيام بغزوة مشتركة ضد المسلمين في ولاية الغرب... وبينما أرسل سانجو إلى باجة ويابرة اللتين فقدهما في الأعوام الأخيرة واللتين لم تكن تحرسمها حاميات قوية، جيشا غزاهما واستولى عليهما، إذ سار الأسطول إلى الجنوب قبالة لسان ولاية الغرب، وأنزل جيشا إلى البر على غرة من المسلمين، وحاصر النصارى في الحال مدينة شلب، وقطعوا عنها موارد الماء، فاضطرت إلى التسليم، وعقدت مع الملك سانجو دون علم الصليبيين عهدا بالخضوع، بيد أن ذلك لم ينجها من مصيرها المروع... وقسمت الغنائم وفقا لاتفاق سابق بين الصليبيين، (ولكن المدينة كانت من نصيب الملك)(37).

كان العداء بين المسلمين والنصارى مستمرا والهجمات المسيحية على الأندلس في استمرار مما دفع بال خليفة يعقوب المنصور إلى تجهيز حملة على الأندلس في ربيع الأول سنة (585هـ/1189م) (فارتحل عن الجزيرة الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة لشبونة وأنحائها... وانصرف إلى العدو بثلاثة عشر ألف سبية من النساء والذرية... وفي سنة (587هـ/1191م) كتب إلى قواد الأندلس يأمرهم بغزو بلاد الغرب ويعلمهم أنه قادم عليهم في إثر كتابه، فاجتمع قواد الأندلس إلى محمد بن يوسف والي قرطبة، فخرج بهم في جيش عظيم من الموحدين والعرب والأندلس حتى نزل شلب فحاصرها، وشد عليها القتال حتى فتحها وفتح قصر أبي دانس ومدينة باجة ويابرة ورجع إلى قرطبة)(38). تكررت الحروب والمواجهات بين المسلمين والنصارى، وطلب ألفونسو الثامن ملك قشتالة من الخليفة الموحي يعقوب المنصور الصلح لمدة خمس سنوات، إلا أنه وقبل انصرام المدة أغار على بلاد المسلمين وحكم بالسيف في رقابهم، وبلغت طلائع جنده الجزيرة الخضراء دون أن تجد أمامهم قوة رادعة. ودفعتة نشوة الانتصار إلى أن يوجه رسالة إلى الخليفة الموحي فيها من الاستهزاء ما أقض مضجع رجب سنة (591هـ/1195م) مخترقا قلب إسبانيا إلى أن 20 الموحدين، فكان العبور يوم وصل هضبات الأرك (على بعد 11 كلم من مدينة ثيودادريال)، فكانت المعركة الشهيرة التي انتصر فيها يعقوب المنصور على الإسبانيين والبرتغاليين وتسلق بعدها قمة المجد، واشتهر اسمه في الشرق والغرب.

غير أن هذا المجد ما فتى ينذر بالانهيار وخصوصا بعد وفاة الخليفة المنصور وولاية ابنه محمد الناصر، الذي جهز هو الآخر حملاته على الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الإيبيرية فلم يستطع الصمود فحلت به الهزيمة في المعركة المعروفة باسم (العقاب) وذلك سنة (609هـ/1212م). فكانت بداية الانهيار لدولة الموحدين وضياع الممالك الأندلسية ((دول إسبانيا المسيحية والبرتغال).

ويبدأ تاريخ البرتغال المسيحية على أنقاض الولايات الغربية من الأندلس منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، ولعل المقاومة العنيفة التي واجههم بها المسلمون هناك هي التي ملأت قلوب ملوك البرتغال غلا- وحقدا على الإسلام، وإن كان ما ورثوه أيضا من حضارة المسلمين هو الذي جعل بلادهم تصل في مدى قصير إلى أن تصبح من أولى (الدول البحرية في العالم)(39).

### سقوط البرتغال ومأساة الموريسكيين

سقطت القواعد الإسلامية في البرتغال وبسقوطها انتهى الوجود العربي في غرب الأندلس. فقد احتلت براغة سنة (1040م) ثم قلمرية سنة (1064م)، ثم احتلت لشبونة سنة (1093م) ويابرة سنة (1166م) وقصر بني دانس سنة (1217م)، وشلب وجميع غربي الأندلس سنة (1249م). (وبهذا استقرت حدود البرتغال على ما هي عليه اليوم. وعند احتلال الأراضي الإسلامية، صادر البرتغاليون كل أراضي المسلمين وأملاكهم، فهاجر عدد كبير منهم، واستقر بعضهم الآخر في بلادهم كمدجنين. فلما أعلنت إسبانيا أمرها بتتصير المسلمين سنة (1499م) تبعها البرتغال سنة (1502م) فهاجر عدد منهم إلى شمال المغرب، وبقي بعضهم الآخر كمسلمين سرا في البلاد، ثم هاجر عدد كبير آخر سنة (1540م) إلى المغرب، وبقي الباقيون تحت المصير نفسه الذي أصاب إخوانهم داخل (الدولة الإسبانية)(40).

طورد المسلمون قتلاً وتشريداً وتتصيراً، وكان الاضطهاد الكنسي موازياً لجميع الحملات المترتبة بهم في كل مكان، واتخذت سمة الاستماتة والعنف داعية إلى وجوب إبادة المسلمين وإخراجهم من الجزيرة الإيبيرية مهما كلف الثمن، وصاحب هذا التدخل الكنسي الفصول النهائية لمأساة الوجود العربي الإسلامي في إسبانيا والبرتغال. وعانى الموريسكيون خلال حقبة طويلة ألوانا من الاضطهاد المدني والديني. إلا أن المشكل الموريسكي بالبرتغال لم يحظ بالاهتمام الكافي من طرف المؤرخين كما حظي موريسكيي إسبانيا، ويعلل ذلك الباحث المغربي أحمد بوشرب إلى كون الجالية الموريسكية بالبرتغال كانت أقل عدداً وخطورة من الجالية الموريسكية الإسبانية من جهة، وإلى كون أرشيفات البرتغال لا توفر مصادر توازي من ناحية الوفرة والتنوع ما تقدمه أرشيفات إسبانيا. وإذا قيل بشأن موريسكيي إسبانيا أنهم عبارة عن جالية بدون تاريخ فإن ذلك ينطبق على موريسكيي البلد المجاور نظراً لكون المعلومات والأخبار التي وصلتنا عنهم تنحصر فيما ورد بمصادر محاكم التفتيش الدينية؛ إذ لم يصلنا أدنى خبر عن أوضاع هذه الجالية خلال الفترة الممتدة ما بين ظهور المشكل الموريسكي بعد إقرار التتصير الإجباري الذي فرضه الملك (إمنويل) على مسلمي ويهود البرتغال سنة (1497م) وبداية العمل بمحاكم التفتيش سنة (1536م)، فلقد اختفت كل المصادر والوثائق الإسلامية والموريسكية المتعلقة بهذه (الحقبة المهمة من تاريخ البرتغال)(41).

ويرى الأستاذ بوشرب أن سكوت المصادر عن الجالية الموريسكية البرتغالية مؤسف

حقا لكونه لا- يحرمننا من إمكانية تتبع موقف المسيحيين منهم ومقارنته مع ما خصوا به المسيحيين المحدثين (اليهود المنتصرين) فحسب، ولكنه يحرمننا أيضا من إمكانية تتبع موقف موريسكي البرتغال من الموريسكيين الأجانب الذين تم جلبهم من البلاد الإسلامية الإفريقية والآسيوية ومن إسبانيا، ومن ثم معرفة مدى تماسك وتأزر الجالية الإسلامية المرغمة على التنكر لدينها.

ووفرت محاكم التفتيش مادة مهمة سمحت بتسليط الأضواء على أوضاع الموريسكيين المقيمين بالبرتغال؛ إذ وصلتنا مئات من محاضر المحاكمات بعد أن ضاعت أعداد هائلة منها، كما وصلتنا عشرات من دفاتر التبليغات والاعترافات وكتب (المحامي المراقب (42)).

وإذا كان الموريسكيون محرومين من حريتهم، يعانون من سوء المعاملة ومن ظروف عيش جد قاسية - فإن أوضاعهم تآزمت أكثر بسبب ما كانوا معرضين له من رقابة يومية تحرمهم حتى من إمكانية التصرف بشكل طبيعي، ولزمتهم لعبة ازدواجية الشخصية الصعبة؛ وذلك بالارتباط بقيم المجتمع البرتغالي وعقيدته من الناحية المظهرية لإبعاد الشر عن أنفسهم وبالارتباط بالإسلام سرا اعتمادا على التقية. وفعلا لم يأخذ هؤلاء اعتناقهم للمسيحية مأخذ الجد؛ إذ اعتبروا أن حفل التعميد لا يلزمهم في شيء. ولهذا استمروا في استعمال أسمائهم الإسلامية، والقيام سرا ببعض الفرائض كالصلاة والصوم والنطق بالشهادة والاستغاثة بالله وبالنبي - صلى الله عليه وسلم- وبالأولياء.. مع الحرص على الظهور بمظهر المسيحيين الصادقين... ولم يكونوا يتركون أية فرصة تمر دون أن يسخروا من المسيحية وأن يؤكدوا على أفضلية الإسلام وعلى ارتباطهم به... وكان النقد موجها على الخصوص لمبدأ الثالوث، ومن ثم لصفات وألوهية عيسى، لبطارة السيدة (مريم، وللقربان المقدس ودلالته، وكذلك للكنائس ورسومها ونواقيسها... إلخ)(43).

واستغل البرتغاليون باستمرار كل خلاف أو سوء فهم مع الموريسكي لتذكيره بأصله ولإهانته، ولم يكن البرتغالي في حاجة إلى مبرر للقيام بذلك. فقد ذكر (جواد راغو أمام المحكمة أن خدام سيده كانوا يستغلون كل خلاف معه (... لمناداته (J.DRAGO) بالمسلم القديم، ابن المسلم، وبالكلب...)) وكان لفظ (كلب) كثير الاستعمال لسبب الموريسكي الذي سرعان ما جعل منه بدوره مرادفا لكلمة (برتغالي). فلقد بلغت برتغالية بأخرى لكونها لاحظت أنها لم تتوقف عن مناداة خادمتها المغربية (بالكلبة) وذلك رغم أنها وكان لفظ موريسكي يستعمل من طرف جل البرتغاليين تنصرت وأصبح لها اسم مسيحي! استعمالا قديما للتأكيد على حداثة تنصر الموريسكي وعدم صدقه في ذلك. وكان عدد مهم (منهم لا يستعمل إلى كلمة (مسلم) للإشارة إلى الموريسكي(44).

وتكثر بمصادر محتكم التفتيش البرتغالية الإشارات إلى الموريسكيين الذين جلدتهم أسيادهم أو حبسوهم أو حرموهم من الطعام لمدة معينة، أو الذين كانوا يجوبون شوارع العاصمة وهم مكبلون بالسلاسل الحديدية... وعبر أحد الموريسكيين العاملين بلشبونة عن

العلاقة بين العمل والأجور بما يلي: (كانوا يقضون أيامهم بالميناء والتبن وقد كسرت  
(ضلوهم كالحمير دون أن يوفروا من ذلك في نهاية السنة لا ريالاً ولا سبتياً...)(45)

وكان يشرف على محاكم التفتيش الدينية البرتغالية في بداية الأمر أسقف مدينة سبته  
الذي سرعان ما استقال بسبب غلو القضاة وبشاعة الطرق المستعملة من طرف المحكمة  
(1821م)(46) وقساوة الأحكام الصادرة عنها. واستمر العمل بمحاكم التفتيش إلى سنة

### الحضارة الإسلامية البرتغالية

طورد العرب وانتهت مأساة المورسكيين وبقيت حضارتهم ومراكزها بارزة في  
البرتغال وحياة البرتغاليين ثقافة وفكراً ولغة وعمراناً، غير أن مؤرخي البرتغال (درجوا  
-إلا قلة منصفة منهم- على تجاهل هذه الحقبة الطويلة. والغريب أنهم يتحدثون عن بداية  
تاريخهم في ظلال الرومان، مع أن البرتغال بقيت تابعة للرومان ثم القوط نحو ثمانية  
قرون ونصف لم نسمع خلالها بشخصية واحدة لها قيمتها من الناحية الحضارية أو  
الثقافية، على حين أخرجت البرتغال الإسلامية مئات من الشخصيات الفذة التي تعتر بها  
(الحضارة الإنسانية، والتي تمثل في تاريخ الفكر معالم مشرقة مجيدة)(47)

أولى المدن التي فتحها المسلمون في البرتغال، (SILVES) وتعتبر مدينة شلب  
وأصبحت ذات شأن كبير، فقد شهدت ازدهاراً حضارياً وفكرياً. وهي قاعدة كورة اكشونية  
وبقبلي مدينة باجة ولها بسائط فسيحة، وبطائح عريضة. ولها غلات وجنات، يقول عنها  
صاحب الروض المعطار: إنها (حسنة الهيئة بدیعة البناء مرتبة الأسواق، وأهلها وسكان  
قراها عرب من اليمن، وغيرها وكلامهم بالعربية الصريحة وهم فصحاء يقولون الشعر،  
نبلاء خاصتهم وعامتهم. وأهل بوادي هذه البلدة في غاية من الكرم لا- يجاريهم فيه  
(أحد)(48).

وذكر ياقوت الحموي في معجمه أنه ليس بالأندلس بعد إشبيلية مثل (شلب) وأنه قل أن  
ترى من أهلها من لا يقول شعراً ولا يعاني الأدب، ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته  
(عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه وأي معنى طلبت منه)(49)

عرفت المدينة أجمل أيام مجدها في عهد المعتمد بن عباد الذي كان والياً عليها من قبل  
أبيه المعتضد، وقد تركت في نفسه ذكريات عميقة. ولما توفي المعتضد في سنة (461هـ  
/1068م) وخلفه ولده المعتمد عين الشاعر ابن عمار والياً عليها فخاطبه بهذه الأبيات

ألا حي أوطاني بشلب أبا بكر      وسلهن هل عهد الوصال كما أدري

وسلم على قصر الشراحيب من فتى      له أبدا شوق إلى ذلك القصر

(منازل أس-اد وبيض نواعم      فناهيك من غيل وناهيك من خدر)(50)

ويقول الفتح بن خاقان عن قصر الشراحيب الذي ذكره المعتمد: (بأنه متناه في البهاء  
والإشراق مباه لزوراء العراق، ركضت فيه جياذ راحتها، وأومضت بروق أمانيه في

ساحاته، وجرى الدهر مطيعا بين بكره وروحاته، أيام لم تحل عنه تمائمه ولا خلت من (أزاهير الشباب كمائمه) (51).

فقد أفاض المصنفون الجغرافيون المسلمون (LIBOA): أما مدينة أشبونة (لشبونة الحديث عن موقعها وثروتها البرية والبحرية والمعدنية. (وهي مدينة قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه في سورها واسمها قودية، وسورها رائق البنيان بديع الشأن، وبابها الغربي قد عقدت عليه حنايا فوق حنايا على عمد من رخام مثبتة على حجارة من رخام، وهو أكبر أبوابها، ولها باب غربي أيضا يعرف بباب الخوخة مشرف على سرح فسيح يشقه جدولا ماء يصبان في البحر، ولها باب قبلي يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مده وترتفع في سوره ثلاث قيم، وباب شرقي يعرف بباب الحمة..وقبالتها على ضفة البحر حصن المعدن ويسمى بذلك لأن عند هيجان البحر يقذف بالذهب التبر هناك، فإذا كان الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء (الشتاء، وهو من عجائب الأرض) (52).

ويفرد صاحب (المغرب في حلى المغرب) فصلا في كتابه بعنوان (كتاب الرياض المصونة في حلى مملكة أشبونة)، وفيه يصفها بأنها مملكة جبلية على البحر المحيط في غرب إشبيليا وشمالها. ويورد تحت هذا الفصل كتاب (الغرة الميمونة في حلى مدينة أشبونة) وينقل من كتاب الرازي ما يلي: (مدينة قديمة في غرب باجة، ولها أثره فاضلة في طيب الثمرات وتمكن في ضروب الصيد برا وبحرا، وبزاتها الجبلية أطير البزاة وأعتقها، وفي جبالها شورة النحل، وهو العسل الخالص البياض كالسكر، ويضع في (خرقة، فلا يكون له رطوبة) (53).

وعلى العموم فقد كانت لشبونة مركزا عربيا كبيرا للتجارة والملاحة، ويخبرنا الجغرافي الإدريسي عن قصة إبحار المغامرين الذين (ركبوا المحيط الأطلسي ليعرفوا ما فيه وأين (انتهأؤه، ولهم بأشبونة موضع بقرب الحمة منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين) (54).

ويرجح أن يكونوا وصلوا إلى العالم الجديد، ولا سيما أن رحلتهم في الذهاب استغرقت شهرا بالضبط (55). وتعتبر هذه الرحلة كما يقول أحد الباحثين البرتغاليين المحدثين- الخطوة الأولى في الاستكشافات البحرية البرتغالية منذ العصر العربي... كما أنه تسنى إحراز ما اكتشفوه في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بفضل اقتباسهم لطريقة بناء مراكب العرب التقليدية في غرب الأندلس، فعلى أساسها استطاع هنري الملاح وبحارته وهي المراكب الصغيرة السريعة (CARAVELAS) أن يتوصلوا إلى صناعة القوارب (التي ساعدت على تحقيق الاستكشافات) (56).

وهذه التسمية، (ALFAMA) وما زال الحي الشرقي من لشبونة يحمل اسمه العربي البرتغالية محرفة عن اسمه العربي (الحمة) الذي كانت الطبقة الأرستقراطية حتى عهد قريب تتخذ مساكنها فيه، وما زالت موجودة فيه بعض الدور التي يرجع تاريخها إلى عصر المسلمين، وهو يتميز بأزقته الضيقة الملتوية وواجهات بيوته المزخرفة بالزليج.

وقد كانت بلدية العاصمة صارمة في قرارها الصادر في الثمانينات من القرن العشرين بالحفاظ على شكل الجزء القديم من المدينة كما هو، فلم تمتد يد العيث إلى المباني التقليدية (بالتشويه، أو الإزالة... لأنها تتميز بالفخامة وروعة التصميم) (57).

أنجبت هذه المدينة عددا من الشعراء والأدباء والفقهاء من أشهرهم أبو زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني القذافي الذي يقول عنه ابن بسام الشنتريني أنه كان (من شعراء غربنا المشاهير، وله شعر يعرب عن أدب غزير) (58). وكان ابن مقانا قد جال أقطار الأندلس في شبابه مادحا رؤساءها، ومن أشهر قصائده تلك التي أنشدها في مدح إدريس بن يحيى بن حمود ومطلعها:

البرق لائح من أندرين      ذرفت عيناك بالماء المعين  
(ولصوت الرعد زجر وحنين      ولقلبي زفرات وأنين) (59)

والشاعر محمد بن سوار الأشبوني (شاعر مشهور مذكور في الذخيرة، أسره النصارى وجرت عليه محن وفداه منهم ابن عشرة كريم سلا، فله فيه أمداح كثيرة نذكر منها هذين البيتين:

أحب سلا من أجل كونك من سلا      فكل سلاوي إلي حبيب  
(لصيرتها مصرا ونيلك نيلها      وكفك بطحاها وأنت خصيب) (60)

ومن أدباء أشبونة كذلك الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل القرشي الأشبوني الذي (كان يعرف عندنا بالطيطل، ممن نظم الدر المفضل لا سيما في الزهد) (61). ويبدو أن المدينة كانت مقصد الأدباء في غرب الأندلس، فابن بسام يذكر أكثر من مرة أنه ذهب إلى الأشبونة لملاقة أدبائها والوافدين عليها، فعند الحديث عن الأديب أبي جعفر بن الدودين البلنسي يقول: (هو أحد من لقيته وشافهته، وأملى عليّ نظمه ونثره بالأشبونة سنة سبع وسبعين وأربعمائة) (62). ويتحدث ابن بسام كذلك عن الأديب أبي عامر الأصيلي من سرقسطة فيقول: (وهبط إلى الأشبونة أيام كوني بها... وزرته ونزلت عليه في منزله أول (التقائي به في لمة من أهل الأدب) (63).

ويذكر ابن بشكوال أن أبا عبد الله محمد بن يحيى بن مزاحم الأنصاري، سكن طليطلة ورحل إلى المشرق وأصله من الأشبونة، ويصفه بأنه كان نهاية في علم العربية وتوفي (سنة 502 هـ) (64).

ومن فقهاء الأشبونة عبد الرحمن بن عبيد الله، وكان يروي عن الإمام مالك بن أنس (65). وأبو إسحاق إبراهيم بن هارون المصمودي، المعروف بالزاهد (الأشبوني) (66).

الواقعة في شمال شرقي لشبونة (SANTAREM) وكيف لا نقف عند مدينة شنترين والتي وصفها الوزير الكاتب الفتح بن خاقان حيث يقول: (شنترين قاصية أرض الإسلام،



السامية الذّرّاً والأعلام، التي لا- يروعاها صرف، ولا- يفرعها طرف؛ لأنها متوعدة المراقي، معثرة للراقي، متمكنة الرواسي والقواعد، على ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد، قد أطلت على خمائلها إطلال العروس من منصتها، واقتطعت في الجو (أكثر من حصتها)(67).

ويكفي المدينة فخرا أنها أنجبت أديبا أندلسيا كبيرا هو أبو الحسن بن بسام التغلبي الشنتريني صاحب الموسوعة المعروفة (الذخيرة في محاسن الجزيرة)، جاء في المسهب للحجاري نقلا عن ابن سعيد: (العجب أنه لم يكن في حساب الآداب الأندلسية أنه سيبعث من شنترين - قاصية الغرب، ومحل الطعن والضرب، من ينظمها في قلائد من جيد الدهر، ويطلعها ضرائر للأنجم الزهر. ولم ينشأ بحضرة قرطبة ولا بحضرة إشبيلية ولا غيرهما من الحواضر العظام من يمتعض امتعاضه لأعلام عصره، ويجهد في جمع حسنات نظمه ونثره. وسل (الذخيرة)، فإنها تعنون عن محاسنه الجزيرة... ونثره في كتاب (الذخيرة) يدل على علو طبقتهم(68).

وضع ابن بسام مصنفه التاريخي والأدبي الرائع قبل سقوط وطنه شنترين في أيدي النصارى بأعوام قلائق. وكان قد ذكر في مقدمته أنه غادرها، حيث قال: (وعلم الله تعالى- أن هذا الكتاب، لم يصدر إلا عن صدر مكلوم الأحناء، وفكر خامد الذكاء، بين دهر متلون تلون الحرباء، لانتباضي كان من شنترين قاصية الغرب، مفلول الضرب، مرووع السرب، بعد أن استنفذ الطريف والتلاد، وأتى على الظاهر والباطن النفاد، بتواتر طوائف الروم علينا في عقر ذلك الإقليم)(69).

ويشتمل كتاب الذخيرة وفقا لتصنيف مؤلفه على أربعة أقسام خص القسم الثاني لأهل الجانب الغربي من الأندلس، وذكر أهل حضرة إشبيلية، وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي، وفيه من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب جملة موفورة.

ومن أدباء شنترين المشهورين كذلك نذكر أبا محمد عبد الله بن سارة الشنتريني قال عنه ابن الأبار في التكملة: (سكن إشبيلية وتعيش فيها بالوراقة وتجول في بلاد الأندلس شرقا وغربا وامتدح الولاية والرؤساء وكتب لبعضهم وكان أديبا ماهرا شاعرا مقلقا مخترعا (مولدا، توفي سنة 517 هـ)(70).

وابن دحية في المطرب: (أدبه موفور، وشعره مشهور... انتقل من بلده شنترين إلى مدينة إشبيلية، وهو أوحش حالا من الليل، وأكثر انفرادا من سهيل، فانتجع الوراقة على كساد سوقها وفساد طريقها فتركها وأنشد فيها:

أما الوراقة فهي أنكد حرفة  
أغصانها وثمارها الحرمان  
تشبهت صاحبها بإبرة خائط  
تكسو العراة وجسمها عريان

ومن المراكز الحضارية الإسلامية في البرتغال المدينة التي سماها العرب (شنترية

وتقع جنوبي البرتغال، وكان لها شأن كبير (FARO الغرب) والمعروفة اليوم باسم (فارو) أيام العرب، مشهورة بالعنب والتين، وبينها وبين شلب ثمانية وعشرون ميلاً. ومن عجائبها ما ذكره الحميري: (عين تنفجر بماء كثير يبصر ذلك الناس عياناً، فإذا قربوا منها ووقفوا عليها انقطع جريانها فلا تتبض بقطرة، فإذا تباعد الناس عنها عادت إلى حالها... ومن الغرائب ما ظهر بشنتمرية هذه في عشر السنين والخمسائة، وذلك صبي يتوآصف المحققون ممن عاين أمره أن سنة خمسة أعوام أو نحوها بلغ مبلغ الرجال وأشعر، وهذا (مستفيض عندهم) (72).

وإلى هذه المدينة ينتسب أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعم الشنتمري العالم اللغوي الكبير وصاحب التصانيف الشهيرة في اللغة والأدب والنحو بلغت ستة عشر مؤلفاً منها الموجود بين مطبوع ومخطوط، ومنها المفقود، ومنها ما نظم إلى نسبه ومنها ما نشك فيه (73). لقد كان الأعم واسطة في نقل ثقافة الجيل الثاني وما أخذه عن شيوخه إلى أجيال لاحقة ممن تتلمذوا عليه. وقد ذكرت المصادر عبارات تدل على تعدد من أخذ عنه وحضر حلقاته العلمية بإشبيلية. جاء في الصلاة: (أخذ الناس عنه كثيراً) (74). وفي الوفيات: (صارت الرحلة إليه في زمانه) (75). وفي البغية: (ورحل إليه الناس من كل وجه) (76). وفي الذخيرة: (وكان الأستاذ أبو الحجاج الأعم يومئذ زعيم البلد وأستاذ ولد المعتمد فعول عليه في رحلته، وانقطع إليه بتفصيله وجملته، وكانت له في أثناء ذلك همة تتراعى به إلى العلا...) (77) وفي فجر الإسلام: (وقد استفاد منه كثيرون من أهل الأندلس، وكانوا يرحلون إليه) (78).

وعلى العموم فقد كان واحداً من ثلاثة كان الأندلسيون يعدونهم أدياء عصرهم بلا منازع (وهم: أبو مروان ابن سراج بقرطبة، والأعم في إشبيلية، وغانم بمالقة) (79).

فكانت من أهم مدن هذه المنطقة، ويصفها الحميري بأنها (EVORA) أما مدينة يابرة (كبيرة عامرة بالناس لها أسواق وقصبة، ومسجد جامع، وبها الخصب الكثير الذي لا يوجد لغيرها من كثرة الحنطة واللحم وسائر البقول والفواكه وهي أحسن البلاد بقعة) (وأكثرها فائدة...) (80).

وقد اشتهر من أبنائها الكاتب والشاعر الكبير أبو محمد عبد المجيد بن عبدون (العالم المستبحر في جميع الفنون) (81)، ويصفه ابن بسام بأنه (سر الدهر المكتوم، وشرف فهر الحديث والقديم، لسان صدقها في الآخرين، وقمر أفقها الذي ملأ الصدور والعيون، وديوان علمها المذال والمصون، ومسترق كلمها المنتور والموزون، أعجوبة الليالي، وذروة المعالي، ذو لسان يفري ظبة السيف، وصدر يسع رحلة الشتاء والصيف، أفصح من صمت ونطق وأجمح من صلي وسبق، عول من ملوك الطوائف على رئيس بلده (المتوكل، فعليه نثر دره الثمين، وباسمه جبر وشيه المصون) (82).

وتذكر المصادر التاريخية والأدبية أسماء أعلام كبار في مجالات فكرية وأدبية وفقهية تنتمي إلى مناطق برتغالية أخرى نذكر منها على سبيل المثال عبد الملك ابن صاحب

(الصلاة صاحب كتاب (تاريخ المن بالإمامة)(83) وهو أحد أبناء مدينة (باجة BEJA) أقدم مدن الأندلس بنيانا وأولها اختطاطا)(84). ومن أشهر رجالاتها كذلك الإمام القاضي أبو الوليد الباجي شارح الموطأ... وصنف في الأصول والفروع. توفي سنة (474هـ) (85)).

وهي من أعمال لشبونة. وقد نسب إليها قوم من أهل (CINTRA) وكذلك مدينة شنترية العلم(86). نذكر منهم الزاهد بكار بن داود المرواني (وكان غاية في الزهد، مطرحا لنفسه وكانت من أعمال باجة، وقد (MERTOLA) ومات في جهاد العدو)(87). وميرتلة وصف ياقوت الحموي قصبته بأنها أمنع حصون الجوف (غرب الأندلس) وهي من الأبنية القديمة، ينسب إليها الأديب الشاعر محمد بن عبد الله بن عمر ابن منذلة، صحب أبا الحجاج الأعم كثيرا، وأخذ عن أبي محمد بن خزرج وأبي مروان بن سراج وغيرهما، كان أديبا لغويا شاعرا فصيحاً، توفي سنة (533هـ)(88). وقد اتخذها ابن قسي قاعدة لدعوته كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وينتسب إليها كذلك الفقيه الزاهد أبو عمران موسى بن عمران المارتلي (له نثر ونظم في الزهد والحكم مدون مشهور. ومن نثره: كل ما يفنى ما له معنى. من خف لسانه وقدمه كثر ندمه. التغافل عن الجواب من فعل ذوي الألباب...)(89) وقال عنه ابن الزبير في صلة الصلة (أحد أفاضال الرجال، ممن جمع الله له العلم والعمل، زاهد ورع، عابد منقطع القرين... يؤثر العزلة والفرار عن الناس والانقطاع بدينه، فكان لا- يخرج من داره إلا- إلى مسجده، ولا- يرى لغير ذلك أصلا... توفي سنة (604هـ وقيل 603هـ)(90).

إضافة إلى مدن أخرى كان لها شأن كبير في تاريخ وحضارة الإسلام بالبرتغال مثل وبراقة (ABRANTES) وقصر أبي دانس وأبرنطيش (COIMBRA) قلمرية وغيرها. كما أن الآثار العربية الإسلامية مازالت شاهدة على ما كانت (BRAGA) تتمتع به هذه الربوع في ظل الإسلام من تقدم حضاري وتطور عمراني. ويذكر (فيلوزو) أن عدد أسماء المواقع الجغرافية العربية الأصل كبير بصورة غير اعتيادية في البرتغال، وذلك ينطبق حتى على المناطق التي خضعت للحكم العربي لفترة قصيرة، وتكثر هذه الأسماء بشكل عجيب في أقصى المناطق الجنوبية للبرتغال. لقد كانت حضارة العرب متقدمة ومتطورة أكثر من حضارة شبه الجزيرة اللاتينية المسيحية. وبطبيعة الحال، فقد تبنى السكان عادات وتقاليد الفاتحين المتحضرة إلى حد كبير خلال فترة القرون الخمسة التي خضع فيها التاريخ البرتغالي للحكم العربي(91). ويقول (الفيرا ماركيس) في كتابه: (تاريخ البرتغال/ الجزء الأول/ ص: 283) إن الفن المدجن كانت له أهمية قصوى في المعمار المدني وفي البناءات الدينية وفي قصور الملوك وعليه القوم في أواخر القرن الخامس عشر والسادس عشر من كثرة ما كانوا يضعونه من فن النقش والزخرفة على البناءات مقيدتين في ذلك بقواعده التي لا يحدون عنها، وإن قصر شنترية أحسن مثال على ما تبقى من ذلك... وإن أكبر قسط من أبراج الأسوار المقامة بجنوب موندنيكو أو جنوب نهر التاجة في القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر هي من إنتاج البناء المدني

والخبرة العسكرية الإسلامية، ولا- تخلو لشبونة من الفن المدجن المتجلي خاصة في الزخرفة بالفسيفساء، وقد شاهدت ذلك في عدة أماكن سواء منها دور السكنى الكبيرة منها (أو المتواضعة، بل حتى المقاهي الشعبية ودكاكين ومتاجر في الأحياء القديمة) (92).

وهناك مطبوعات قديمة ظاهرة على الأحجار تبين أسماء شوارع بعض المدن البرتغالية (بمنزلها المملوءة بالدفاف التي تضيء عليها سمة من السمات الشرقية) (93).

والمطلع على اللغة البرتغالية والدارس لها ولثقافتها لا يصعب عليه كشف التأثير العربي والإسلامي فيها. فهناك الكثير من الكلمات البرتغالية هي عربية أصيلة أو ذات أصول عربية وقد توصل الباحث الدكتور البرازيلي (جواو باتيست فارجينز) في رسالته الجامعية (الكلمات البرتغالية ذات الأصول العربية) إلى وجود ثلاثة آلاف كلمة برتغالية من أصل عربي (وقد اعتمدت في ذلك على قاموس (أوراليو) ومن نصوص برتغالية قديمة تتضمن بدورها أصولاً- لكلمات بالبرتغالية كالزبيب الذي يعني بالبرتغالية العزيز، وكذا السكر والسكاكير وأي مكان نمو السكر... وكلها كلمات عربية وصلت إلينا عبر التأثيرات الحضارية والتواصل الذي تعمق في مراحل معينة. وما يعد مهماً ولافتاً للانتباه في هذه الدكتوراه هو توصلنا إلى حوالي ثلاثة آلاف كلمة برتغالية من أصل عربي. وقد اعتمدت في ذلك بالإضافة إلى ما ذكرته على قاموس لغوي قديم يرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر والذي مكنني من الوقوف على أصل الكلمات ومعانيها وتطوراتها كما كنت أبحث كذلك في القاموس العربي في محاولة لمعرفة المرحلة التاريخية التي دخلت فيها الكلمة إلى البرتغالية) (94). ويكاد القانون الجنائي البرتغالي في العصور الوسطى أن يكون عربياً في مواصفاته. (ويجب ألا نستغرب من هذا الأمر لأن العرب كانوا حكاماً لمدة خمسة قرون في هذه الأرض. صحيح كانت هناك مؤسسات محلية أيضاً، ولكن دراسة القوانين القديمة تشير إلى أن هناك عدداً لا بأس به من الموظفين البرتغاليين في العصور الوسطى كانوا يتمتعون بألقاب ومناصب عربية، ولقد كان هذا -إلى حد ما- نتيجة لاتخاذ لشبونة عاصمة للحكم الملكي المسيحي، وهي التي كانت سابقاً مركزاً عربياً مهماً) (95). ويظهر قانون الموارد الثأثير الكبير للتشريع القرآني على الحياة القديمة للسكان البرتغاليين، فحتى عام (1910م) كان يحق في البرتغال للشخص أن يتصرف بثالث ثروته فقط قبل الوفاة، أما ما تبقى من ممتلكاته -وهو الثلثان- فيحفظ للأبناء (96). كما عومل العبيد في البرتغال الإسلامية معاملة كريمة، كما هو الحال في بقية الأقطار الإسلامية. في برتغال العصور الوسطى أهمية عظيمة، وهو "ANADIGO" ولقد كان لتقليد ال- يحيى المرأة المربية والمرضعة لابن سيدها، الذي هو ابنها أحياناً. وأطلق على هذه المرأة اسم (أمة) ويقوم سيدها بتكريمها وتكريم أسرتها بإهدائها قطعاً من الأراضي، ويمن عليها بالحرية، وذلك طبقاً للقانون الإسلامي (97). لقد ازداد البرتغاليون تمرساً بالنظافة والأخلاق تحت حكم العرب، ولم يبطل التأثير العربي في توجيههم وتدريبهم حتى بعد أن أصبحوا أرقاء بسبب انصرافهم إلى العمل والكدح... وبفضل العرب أيضاً استخدم الدلو والرشاء لانتشال الماء من الآبار العميقة، واستخدموا الساقية والناعورة لسقي الزروع...

وهم الذين أنشؤوا صناعة السكر في البرتغال كما أدخلوا إليها الطاحونة المائية جدة الآلة البدائية لعصر القصب والتي تعمل بقوة انحدار الماء على دولاب خشبي كبير. ولا ريب أن زراعة الزيتون ازدادت تحسنا في البرتغال بعد قدوم العرب إليها. وكان للكرمة نصيب من عناية العرب، فقد جلبوا إلى الجزيرة البرتغال والقطن ودودة القز، ومما اقتبسها البرتغاليون عن العرب ونقلوه إلى البرازيل صناعة القرميد المطلي الذي عم استعماله في المساكن والكنائس والأديرة والحمامات والمغاسل، وفي فن الطبخ نقلوا عددا من المآكل الشهية وعلى الأخص المطهية بالزيت والكثيرة الدسم(98). وعلى العموم فإن البرتغال كما يقول (سيرابراندو) رئيس جمعية المؤرخين البرتغاليين : (استفادت من انتمائها لحوض البحر المتوسط، فتأثرت بالمد والحضارة العربية، واستفادت من العلوم والمعارف العربية، فتم تطوير الإسطرلاب الذي استخدمه العرب من قبل، وكذلك كتابات العرب (حول تحديد المركز المغناطيسي للأرض، والرياح، وحركة الأمواج...)(99).

\*\*\*\*\*

### الحواشي

- \* باحث وأكاديمي من المغرب \*
- 1- عن أثر الحضارة العربية الإسلامية في البرتغال، VELOZO انظر دراسة فيلوزو -14,1966م، ص52-53 نشرت بالإنجليزية في مجلة الجمعية التاريخية الباكستانية، عدد 1980م، ص39، 1 ترجمه إلى العربية عبد الواحد ذنون، نشره في مجلة آفاق عربية، عدد 2- المرجع نفسه، ص39.
  - 3- 1959م الطبعة الأولى، القاهرة، انظر فجر الأندلس، حسين مؤنس، ص118.
  - 4- المرجع نفسه، ص508-509.
  - 5- المعدن) بالاصطلاح الأندلسي والمغربي بمعنى (المنجم) (الدكتور أمين توفيق) -1979م، ص130، 19 الطيبي) مجلة الفصول الأربعة الليبية، عدد (البرتغال الإسلامية)) 1977م، ص23، 219 انظر مجلة العربي الكويتية، عدد 6- محمود علي مكي.
  - 7- نقلا عن فجر الأندلس، حسين مؤنس، مرجع سابق، ص543.
  - CORIA- SALAMANCA- ZAMORA : قورية- شلمنقة- صمورة
  - 8- انظر مجلة العربي، مرجع سابق، ص23.
  - 9- نقلا عن فجر الأندلس، حسين مؤنس، مرجع سابق، ص381-382.
  - 10- انظر ما كتبه حسين مؤنس عن قصر أبي دانس في تحقيقه لكتاب الحلة السیراء -10

1. هامش ,لابن الأبار, الجزء الثاني, ص272

1950م, انظر تاريخ إسبانيا الإسلامية (بالفرنسية) الجزء الأول, الطبعة الثانية -11 ص88

12- انظر عن هذه الأحداث -

كتاب (دولة الإسلام في الأندلس... من الفتح إلى بداية عهد الناصر) محمد عبد الله - عنان, ص305/304, الطبعة الرابعة, مكتبة الخانجي, القاهرة

مجلة الفصول الأربعة, مرجع سابق ص111 -

أما عن مدينة برتقال فقد خصص صاحب كتاب (ذكر بلاد الأندلس وفضلها وذكر أصقاعها) مادة لها فقال: «إنها مدينة أزلية من قواعد الأندلس، وكان بها جامع عظيم غيَّره الروم حين ملكوها، وهي الآن قاعدة الملك الرومي، ولها أسوار عظيمة وأبواب ضيقة وعليها محرث عظيم وأعمال واسعة تحتوي على أكثر من ألفين (كذا) قرية وبها سبعون حصنا وبها الجوز والعنب والتين الكبير. واسم برتقال هو تعريب لفظ معناه الميناء. وهذه المدينة PORTU/PORTO: القديم، ولفظ PORTUCALE ثاني مدينة (PORTO) الواقعة الآن في شمال البرتغال هي التي تدعى اليوم بالبرتغالية في المقتبس 584 كيلومترا. انظر هامش 340 في البرتغال بعد لشبونة، وتبعد عنها بنحو 635/634 مبيروت 1973م لابن حيان, تحقيق محمود علي مكي, ص 635/634

13- انظر كتاب: (في تاريخ المغرب والأندلس) أحمد مختار العبادي, ص168-13

السلسلة الجبلية القريبة من الساحل الجنوبي الغربي لشبة الجزيرة، وهي تمتد في 14- وباسم هذا الجبل دعيت مدينة تحمل حتى اليوم اسم SILVES شمال شلب كيلومتر 28 وتقع شمال شلب منحرفة قليلة إلى الغرب على بعد MONCHIQUE ((انظر هامش 574 في المقتبس, ص627 مرجع سابق

المقتبس لابن حيان القرطبي, تحقيق محمود علي مكي, ص344/345 مبيروت 15- 1973م

16- انظر كتاب (دولة الإسلام في الأندلس... من الفتح إلى بداية عهد الناصر) محمد عبد الله عنان, ص306/307, مرجع سابق

17- ابن عذارى المراكشي, الجزء الثاني, ص199-200, دار الثقافة, بيروت 1980م

18- انظر مجلة العربي الكويتية, مرجع سابق ص23, والمقتبس ص345, مرجع سابق

من الأبحاث المهمة المنجزة عن المروانيين، بحث فرانسيسكو كوديرا تحت عنوان - (بنو مروان أصحاب ماردة وبطليوس) في مجموعة (دراسات نقدية حول التاريخ

(الأندلسي). المجلد التاسع, مدريد سنة 1917م, ص 1 إلى 74

FRANCISCO CODERA: LOS BENIMERUAN DE MERIDA Y  
BADAJOZ, EN ESTUDIOS CRITICOS DE HISTORIA ARABE  
ESPANOLA- MADRID  
1917/ VOL

.IX.pp 1-74.

انظر كتاب دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر, محمد عبد -19  
الله عنان, مرجع سابق ص330

المقتبس, تحقيق إسماعيل العربي, دار الآفاق الجديدة, المغرب, 1990م, ص 41-20  
إلى 53.

البيان المغرب, الجزء الثاني, ص 133 إلى 138

انظر كتاب في تاريخ المغرب والأندلس, أحمد مختار العبادي, ص 275, مؤسسة -21  
الثقافة الجامعية.

انظر المعجب, عبد الواحد المراكشي, ص 241/242, تحقيق محمد سعيد العريان -22  
ومحمد العربي العلمي.

تحقيق سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة, ص 82/83, دار الرشاد الحديثة, -23  
الطبعة الأولى 1979م.

انظر الرسالة التي كتبها الوزير ابن عبدون إلى الخليفة علي بن يوسف بن تاشفين -24  
يخبر فيها بفتح المدينة بقيادة يسير بن أبي بكر سنة 1111م, المعجب, ص 246 إلى 249,  
مرجع سابق.

الجزء الرابع, ص 64-25.

الحلل الموشية, ص 86, مرجع سابق -26.

المعجب, ص 337, مرجع سابق -27.

انظر كتاب (الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس) محمد مجيد السعيد, -28  
ص 26, الدار العربية للموسوعات

انظر الحلة السيراء لابن الأبار, تحقيق حسين مؤنس, الجزء الثاني, ص 197-29.

الجزء الرابع, ص 105-30.

الحلة السيراء, الجزء الثاني, ص 199, مرجع سابق -31.

- 32- المرجع نفسه, ص 200-32.
- 33- انظر تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين, يوسف أشباخ, ترجمة : محمد - عبد الله عنان, الجزء الثاني, ص 31 و 32, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1941م.
- 34- انظر المعجب, للمراكشي, ص 372, مرجع سابق -34.
- 35- انظر: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين, يوسف أشباخ, الجزء الثاني, -35. ص 71 و 72, مرجع سابق.
- 36- انظر المعجب, ص 373-374-375, وابن أبي زرع في الأنيس المطرب بروض -36 القرطاس, ص 214 دار المنصور للطباعة والوراقة, الرباط- 1973م, يوسف أشباخ, تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين, ص 73 مرجع سابق, تاريخ ابن خلدون, الجزء السادس, ص 241.
- 37- انظر تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين, يوسف أشباخ, الجزء الثاني, -37. ص 79 و 80, مرجع سابق.
- 38- انظر الأنيس المطرب بروض القرطاس, لابن أبي زرع, ص 218 و 219, مرجع -38 سابق.
- 39- انظر مجلة العربي, عدد 219, فبراير 1977م, ص 27, مرجع سابق -39.
- 40- انظر كتاب الأمة, عدد 31, ص 44, الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم: جذورها -40. ومسارها, علي المنتصر الكتاني.
- 41- انظر مجلة المناهل المغربية, عدد 24, 1982م, ص 354 و 355, الجالية -41. الموريسكية المقيمة بالبرتغال, وهي دراسة مهمة اعتمدت عليها كثيراً في هذا الباب.
- 42- المرجع نفسه, ص 357-42.
- 43- المرجع نفسه, ص 376 و 379 -43.
- 44- المرجع نفسه, ص 368 -44.
- 45- المرجع نفسه, ص 374 -45.
- 46- انظر مجلة المناهل, عدد 21, 1981م, ص 299, محضر محاكمة امرأة مغربية من -46. لدن محاكم التفتيش البرتغالية 1559م, ترجمة وتعليق أحمد بوشرب.
- 47- انظر مجلة العربي, ص 27, مرجع سابق -47.
- 48- مرجع سابق, ص 342 -48.
- 49- معجم البلدان, الجزء الثالث, ص 357-358, دار إحياء التراث العربي, بيروت -49.



- انظر القصيدة في ديوان المعتمد بن عباد, 135, رقم 39-50.
- قلائد العقيان, ص33, مطبعة التقدم العلمية, القاهرة -51.
- انظر الروض المعطار, ص61, مرجع سابق -52.
- الجزء الأول, ص411, تحقيق شوقي ضيف, دار المعارف, طبعة الثالثة, 1978م, -53. مرجع سابق. ويذكر لسان الدين بن الخطيب في مقدمة الإحاطة, الجزء الأول, ص83, أنه في تأليفه عن تاريخ وأعلام بلده غرناطة إنما يحتذي حذو الكثيرين ممن سبقوه في التأليف عن أوطانهم، ويذكر أبا بكر بن محمد بن إدريس الفرابي العالوسي صاحب كتاب, الدرّة المكنونة في أخبار أشبونة.
- الروض المعطار, ص61, مرجع سابق -54.
- انظر ما كتبه عبد الرحمن حجي في (أندلسيات) ص150 عباس الجيراري في -55. مجلة المناهل, عدد 12, ص62.
- انظر مجلة: أفاق عربية, عدد 1/1980م, ص41, أثر الحضارة الإسلامية على -56. البرتغال, ف.ج فيلوزو ترجمة عبد الواحد ذنون, مرجع سابق.
- انظر مجلة المناهل, عدد 112, ص62, مرجع سابق, ومجلة العربي, عدد: ديسمبر -57. 1987م, ص79 (البرتغال مملكة الشمس الغاربة) محمود عبد الوهاب.
- الذخيرة, القسم الثاني, المجلد الثاني, ص786 تحقيق إحسان عباس, ليبيا, تونس -58. 1978م.
- انظر القصيدة في (المغرب في حلى المغرب) الجزء الأول, ص413 و414, -59. مرجع سابق.
- المرجع نفسه, ص411-412 -60.
- ابن بسام, الذخيرة, 2/2, ص797 -61.
- المرجع نفسه, 3/2, ص703 -62.
- المرجع نفسه, 3/2, ص862 -63.
- الصلة, الجزء الأول, ص532, تحقيق عزت العطار الحسيني, القاهرة 1955م -64.
- الحميدي, جذوة المقتبس, ص257, تحقيق محمد بن تاويت الطنجي, القاهرة -65. 1952م.
- نقلا عن مجلة المناهل, عدد 12, ص62, مرجع سابق -66.
- انظر: المطرب من أشعار أهل المغرب, ابن دحية, ص23, تحقيق إبراهيم -67.

الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي, دار العلم للجميع, 1955م

نقلا- عن (المغرب في حلى المغرب) لابن سعيد, الجزء الأول, ص417 و418, -68  
مرجع سابق.

مقدمة القسم الأول, المجلد الأول, ص8, مرجع سابق -69

التكملة, ص462, طبعة مصر, 1955م -70

المطرب, ص78, مرجع سابق -71

الروض المعطار, ص347, مرجع سابق -72

انظر مقدمة محقق كتاب, النكت في تفسير كتاب سيوييه, وتبيين الخفي من لفظه -73  
وشرح أبياته وغريبه, رشيد بلحبيب, الجزء الأول, ص24, مطبوعات وزارة الأوقاف  
والشؤون الإسلامية- 1999م

ابن بشكوال, الجزء الثاني, ص643, تصحيح عزة العطار الحسيني, سلسلة من -74  
تراث الأندلس - 1354هـ

ابن خلكان, الجزء السابع, ص281, تحقيق إحسان عباس, دار صادر, بيروت -75

السيوطي, الجزء الثاني, ص356, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, دار الفكر, -76  
الطبعة الثانية, 1979م

ابن بسام, القسم الثاني, المجلد الأول, ص47, مرجع سابق -77

أحمد أمين, الجزء الثالث, ص91, دار الكتاب العربي لبنان, 1969م -78

انظر بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس, للزبي الجزء, ص241, طبعة -79  
مدريد 1884م

الروض المعطار, ص616 -80

ابن دحية في المطرب, ص27 -81

الذخيرة, القسم الثاني, المجلد الثاني, ص668/669 -82

تحقيق عبد الهادي التازي, دار الأندلس, بيروت 1964م -83

الروض المعطار, الحميري, ص75, مرجع سابق -84

المرجع نفسه, ص75 -85

ياقوت الحموي, معجم البلدان, الجزء الثالث, ص367 -86

- 87- المغرب في حلى المغرب, الجزء الأول, ص415, مرجع سابق
- 88- ياقوت الحموي, معجم البلدان, الجزء الخامس, ص242
- 89- المغرب في حلى المغرب, الجزء الأول, ص406 وانظر كذلك (الغصون اليانعة - في محاسن شعراء المائة السابعة) لابن سعيد ( الترجمة الخامسة) ص135 و 136 و 137, تحقيق إبراهيم الأبياري, دار المعارف الطبعة الثالثة, 1977م
- 90- القسم الثالث, ص52/53 تحقيق عبد السلام الهراس والشيخ سعيد أعراب, مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1993م
- 91- مجلة آفاق عربية, ص40, مرجع سابق
- 92- انظر كتاب محمد قشتليو, تأثير الفن العربي المدجن في حياة الأسبان ص54/55 - مطبعة سبارطيل, طنجة 1989م
- 93- انظر كتاب (المدن الإسبانية المسلمة) ليوبولد تورس بالباس, ترجمه عن الإسبانية: - إبيودورودي لا بنيا, ص598, مطبوعات مركز الملك فيصل بالرياض, السعودية, الطبعة ووعي تعني بوابة أولوفا خشيا ( ADUFA الأولى 2003م ) الدفة وتسمى في البرتغال
- 94- انظر حوارا معه في مجلة (الأنباء) المغربية, عدد 15/14, غشت 2000م, ص46/47, أدرته نعيمة الحاجي
- 95- مجلة آفاق عربية, ص40, مرجع سابق
- 96- المرجع نفسه, ص41
- 97- المرجع نفسه, ص41
- 98- انظر دراسة المؤرخ البرازيلي جليبر توفريدي عن: (أثر الحضارة العربية في - البرازيل) في مجلة (المعرفة) السورية, عدد: الخامس, السنة الثانية, يوليو 1963م, ص7 و 8 و 11, ترجم الدراسة موسى كريم
- 99- انظر مجلة العربي, عدد349, ديسمبر 1987م, ص82, البرتغال مملكة الشمس الغاربة, مرجع سابق.